عود إلى جغرافية بلنسية وملحقاتها

إن مملكة بلنسية القديمة مقسومة الآن إلى ثلاث مقاطعات: الأولى قشتليونCastellon ، ومساحتها ٦٤٦٥ كيلومترا مربعا، وعدد سكانها ٣٢٢٢١٣، والثانية بلنسية، ومساحتها ١٠٧٥٨ كيلومترا مربعا، وعدد سكانها مع ملحقاتها ٨٨٤٢٩٨، والثالثة مقاطعة القنت، ومساحتها ٥٧٩٩ كيلومترا مربعا، وعدد سكانها ٤٩٧٦١٦.

وهذه البلاد هي عبارة عن ساحل البحر وما يليه من الداخل، تنحدر إليها مياه عدة أودية، أهمها وادي الأبيض، فتجرف من الأتربة ما تجرفه، حتى يقال: إن ساحل البحر ارتفع نحوا من مائة متر عما كان من قبل؛ ولذلك هي موصوفة بالخصب، وضفاف بحيرة[١] بلنسية تعطي عدة مواسم في السنة. وظاهر على أهل هذه الشواطئ سحناء العرب، وهم أهل شغل ودأب، لاسيما في الفلاحة والزراعة، وعندهم حسن خلق، لكن أمزجتهم عصبية. ويوجد عند الإسبانيين مثل سائر يشير إلى طبائعهم، ولكن في الحقيقة غير مطابق للواقع؛ فهم يقولون عنهم: إن الحيوان عندهم نبات والنبات ماء، والذكر أنثى والأنثى لا شيء.

وكانت بلنسية حافظة مسحتها العربية إلى العصر الأخير الذي تبدلت فيه هيئتها وغلب فيها طرز البناء الجديد، فلم يبق منها على الهيئة القديمة سوى آثار معدودة؛ فقد هدموا السور سنة ١٨٧١، ولم يبق غير برجين مشرفين على الحارة

(١)يقول لها الإسبان: البفيرةAlbufera ، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون الحاء فاء.

القديمة، وقد جعلوا مكان السور حدائق فاصلة بين البلد القديم والحارات الجديدة. ولبلنسية مرافئ أحدها يقال له غراوGrav ، والثاني كابانال Cabanal، وأما الرصافة المعروفة من زمان العرب فهي إلى الجنوب الشرقي، وأمام محطة الشمال يوجد حديقة كستلارCastelar ، وأشهر شارع في بلنسية اليوم شارع سان فيسانتSanvicente ، ثم شارع سان فرنندو Sanfernando، وفيها ساحة يقال لها ساحة ساحة السيدCid Plazadel ، وساحة يقال لها ساحة الملكة في وسط الحارة القديمة، ومن أشهر كنائسها كنيسة سانتا كتلينا Santa Catalina، ولها برج مثمن، ثم كنيسة سان أندريا، وهي جامع قديم تجدد بناؤه على الطراز الحاضر سنة ١٦١٠، ومن أبنية بلنسية المعروفة البناء الذي يقال له: المدرسة البطريركية Colegio del Patriaca ، ثم المدرسة الجامعة، تجددت في القرن التاسع عشر، فيها ألف طالب في الطابق الأول، منها متحف تاريخ طبيعي، وخزانة كتبها تشتمل على ستين ألف مجلد، وفي هذه الخزانة مئات من الكتب المخطوطة.

وأما الكنيسة الكبرى فإنها قائمة في محل هيكل قديم تحول بعد النصرانية إلى كنيسة، ثم بعد دخول الإسلام إلى جامع، ثم لما استرجع الإسبان بلنسية أعادوا الجامع كنيسة، وكان ذلك سنة ١٢٦٢، ثم أخذوا يحولون هذه الكنيسة تدريجا عن هيئتها الأصلية. وفي هذه الكنيسة جرس عظيم يقال إنه يدقُّ لتعريف ساعات السقيا للبساتين، ومن أعلى برج الجرس يشرف الإنسان على جميع بساتين بلنسية، ويرى جبال بني قاسم وهضاب مربيطر وأعالي القنت، ومن جهة الشمال تلوح له جبال إشكرب، وجبال ركانة، وعلو قبة الجرس ٤٥ مترا. ومن مشهورات الكنائس كنيسة يقال لها سيدة المساكين.

ومن الأماكن المعروفة في بلنسية ديوان المياه الباقي من أيام العرب، ينعقد كل يوم خميس عند الظهر، أمام باب الرسل من الكنيسة الكبرى، وأعضاء هذا الديوان كلهم من الفلاحين، وهم ينتخبون رئيسهم، والمباشر يستدعي المتخاصمين والشهود، والمحاكمات علنية وشفهية، ومن لم يخضع للحكم يبقى بستانه دون شرب. ويوجد في بلنسية متحف للصنائع والفنون في محل كان في القديم ديرا. والحديقة العمومية التي تمتلئ بعد الظهر من أهل بلنسية واقعة على نهر «تريه»، وهو النهر الأبيض، وفي بلنسية ساحة يقال لها ساحة تطوان، تشرف عليها قلعة بناها الإمبراطور شارلكان لحماية المدينة من غارات خير الدين بربروس. وفي بلنسية ساحة أخرى يقال لها ساحة «مركادو» هي أوسع ساحات البلدة، وكانت الاحتفالات تنعقد فيها، ويعلق الجناة على المشانق، وفيها أُحرق القاضي ابن جحاف، وإلى الشمال الشرقي من هذه الساحة يجد الإنسان حارة بلنسية القديمة.

وفي بلنسية كنيسة اسمها سان نيقولا كانت أيضا جامعا. وأما حديقة النبات ففيها ستة آلاف نوع من النباتات. وأما مرفأ بلنسية الأكبر وهو غراو، فيختلف إليه في السنة ثلاثة آلاف باخرة محمولها مليونا طن. وأما غوطة بلنسية التي تشرب من النهر الأبيض بسبعة جداول، فإن مساحتها نحو من عشرة آلاف هكتار، فلها من جهة الشمال القناة التي يقال لها ساقية مونكادة Acequia de Moncada، وأقنية طورموس Tormos، ومستالةMastalla ، ورسكانه Rascana، ومن جهة الجنوب أقنية كوارت Cuarte، ومسلاتهMislata ، وفباره Favara، وروبلهRovella ، فساقية الكوارت تتصبب إلى البحيرة، وأما الأقنية الأخرى فتعود إلى النهر، وكل من هذه الأقنية لها شعب لا تنتهي عددها، وهي

متشابكة لا يعلم مبتداها ومنتهاها إلا أصحاب البساتين، وعلى كل حال لا يبقى من الأرض الداخلة في هذه الغوطة شبر واحد دون شرب.

ومن العادة أنهم يقوِّمون كل هكتار من أرض السقي بخمسة هكتارات من أرض العذي، وذلك أن الأرض بلا ماء لا تعطي هناك شيئا يذكر، وقلما تباع أرض بلا ماء.

وكل هذا جرى ترتيبه المتناهي في الدقة من أيام العرب، ولما كان الحر يشتد إلى النهاية في بلنسية، فإن مياه النهر الأبيض لا يبقى منها شيء تقريبا في فصل الصيف جاريا إلى البحر، بل تشربها كلها البساتين، وإن الإنسان ليحار عندما يدخل تلك الجنان ويرى ما فيها من الجداول راكبا بعضها فوق بعض، منها ما هو معلق في الفضاء، ومنها ما هو أنفاق تحت الأرض. ولكل من الأقنية الكبرى الثمان يوم تنفتح فيها لسقيا البساتين المتعلقة بها، فتجري المياه منها إلى القنى الصغار التي لا تحصى ولا تعد، وبساتينها تسقى بالساعات، وما أسرع صاحب البستان إلى فتح مفجر قناته عندما يصل الدور إليه، فقاعدة السقيا هناك هي العدان. ولهذه الأقنية هيئات خاصة لإدارة أمورها كل قناة لها هيئة ينتخبها أصحاب البساتين، ثم هذه الهيئات تجتمع اجتماعا عاما كل سنتين مرة ولها لجنة إجرائية.

ومن هذه النقابات يتألف ديوان المياه الذي مر الكلام عليه، والذي هو المرجع في المنازعات الواقعة على المياه، وعندما يحتاجون إلى إصلاح الأقنية يفرضون ضريبة على أصحاب البساتين كل واحد بحسب مقدار أرضه. وأما الزراعات التي تشتمل عليها هذه الغوطة فهي متنوعة، منها القنَّب والحنطة والذرة والبقول والبطيخ الأصفر، أما الأشجار فأهمها البرتقال والرمان والكمثرى والتين والمشمش، وهم يزرعون القنَّب في مارس ويحصدونه في

وسط يوليو، ويزرعون اللوبياء في يوليو ويحصدونها في آخر أكتوبر، ويزرعون الحنطة في نوفمبر ويحصدونها في وسط يونيو، ويزرعون الذرة في يونيو ويحصدونها في آخر أكتوبر؛ فتتعدد المواسم في السنة الواحدة.

وأوفى الزراعات غلة فيما يظهر هي زراعة القنب؛ ففي السنين التي تشح فيها المياه يهملون سائر الزراعات، ويتركونها تشرق فتكون فداء للقنب، وفي السنين التي يكون الجفاف فيها شديدا يحق لنقباء المياه أن يغيروا القواعد المرعية بحسب المصلحة، عائدا ذلك إلى رأيهم، فيدخرون المياه لأجل زراعات دون أخرى، ويداولون في العدان، ويحق لهم بحسب الامتيازات القديمة المعطاة لهم من الملك جاك - فاتح بلنسية - أن يتقاضوا القرى العالية التي تنحدر منها المياه أن يسدوا مجاري المياه التي يسقون منها مدة أربعة أيام وأربع ليال متواليات، فيتجمع حينئذ من المياه ما ينقذون به الموسم.

وإذا امتنع أهالي القرى المذكورة عن إجابة هذا الطلب، فإن نقباء المياه يراجعون الوالي، وعلى هذا أن ينفذ طلبهم؛ فإن هذا النظام يرجع إلى سنة ١٢٣٩، حينما فتح جاك الأول - ملك أراغون - مملكة بلنسية، فأمر أن تكون هذه المياه تابعة للبساتين دون أدنى بدل ولا ضريبة، نعم إنه خصص تاج الملك بقناة مونكادة، وبعد ذلك بثلاثين سنة احتاج أصحاب البساتين إلى قناة مونكادة نفسها، فصاروا يستفيدون من مياهها ببدل معلوم في السنة.

والناس يتناقشون في قضية هذه التراتيب العجيبة لسقيا غوطة بلنسية: هل العرب هم الذين أوجدوها؟ أم هي كانت مرتبة من قبل فأتقنوها وأكملوها؟ ولما كان كثير من الإفرنج يغصون بمكان العرب في العمران ولا يريدون أن يعترفوا بفضائلهم، فإن جوسهJusset - صاحب كتاب إسبانية والبرتغال المصور - يزعم أن العرب أخذوا هذه التراتيب عن الرومانيين، سواء كان

ذلك في إسبانية أو في شمالي إفريقية. والحقيقة خلاف ذلك؛ فإن العرب أينما وجدوا أتقنوا فن توزيع المياه على الأراضي، ولم يقلدوا فيه غيرهم، وإن كونهم غادروا بلنسية وهذه التراتيب فيها على أجمل وجه هو ثابت، فبقي هناك قضية هل أخذوها عمن سلف أم لا؟ فهذا هو مجرد افتراضات وتخرصات، واليقين لا ينفع في جانبه التخرص، والذي يحاولون غمط فضل العرب هم مصداق قوله تعالى: ﴿إِن نظن إلا ظنا وَما نَحن بُمستَيقِنين﴾.

ثم إن أعالي بلنسية التي لا تصل إليها المياه مكسوة بالزيتون والخروب والكرم، وبالإجمال فيندر في الدنيا أرض رمت بأفلاذها وجادت بخيراتها مثل أرض بلنسية، ومن مرَّ بين تلك البساتين وشاهد تلك الأغصان المتهدلة الواصلة إلى الأرض من ثقل ما عليها من عناقيد الثمار التي تكاد تغطي الورق، ورأى قُطر البهائم الموقرة من جميع أصناف الألبان والفواكه والحبوب منحدرة إلى المدينة رأى عجبا عجابا.

أما البحيرة فهي بقية من البحر المتوسط انفصلت عنه بلسان من الأرض، وتحولت مياهها إلى العذوبة بطول الأيام، وطولها عشرون كيلومترا، ومنها إلى البحر قناة، وفيها أنواع الأسماك، ويحوم فوقها من الطيور المائية شيء كثير، ويمكن صيده عن كثب، وجيرة هذه البحيرة يزرعون الأرز على ضفافها. وإلى الغرب من بلنسية قرية «مانيسيس»Manises [1]، ثم قرية «لرية» على سبعة

(١)الذي يظهر لنا أن العرب كانوا يقولون لهذه البلدة منيش، على عادتهم في قلب السين شينا أو منيشة، وإلى هذه البلدة ينسب الشاعر الأديب أبو القاسم المنيشي، ترجمه صاحب بغية الملتمس وقال إنه بليغ، ذكره الفتح في كتاب المطمح، وله من غزل:

إن كان قدك غصنا فالثدي به ... هي الكمائم قد زرت على الزهر

يا قاتل الله لحظي كم شقيت به ... من حيث كان نعيم الناس بالنظر

.

كيلومترات من بلنسية، وفي مانيسيس عشرون معملا للزليج يشتغل بها ١٥٠٠ فاعل، والتراب اللازم لهذه الصناعة يؤخذ من الجوار، وإلى الشمال من بلنسية قرية «مليانةMeliana »، وفيها معمل للفسيفساء التي يقال لها فسيفساء نولا Nolla، ثم قرية «بورجازوت «Burjasot على أربعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من بلنسية، وعلى طريقها يجد المسافر معملا يصنعون به القاشاني المغربي.

وهناك يرى الإنسان مخازن الحنطة التي كانت عند العرب يقال لها المطامير، واحدها مطمورة، ومن قرى تلك الناحية «شيبه»Chiva ، وهي قرية سكانها خمسة آلاف نسمة، وفيها حصن داثر، وقرية «البنيولBunol »، وسكانها نحو من خمسة آلاف نسمة أيضا، وفيها حصن من أيام العرب، وعلى ٧٦ كيلومترا من بلنسية مدينة «ركانة Requena»، وسكانها ستة عشر ألفا. وجميع هذه القرى كانت في أيام العرب معروفة.

ولنذكر الآن ما وجدناه في الكتب العربية عن ملحقات بلنسية، ولاسيما القرى والقصبات التي كانت معمورة في زمان العرب، وقد نبغ منها رجال من أهل العلم، وأقرب هذه القرى إلى بلنسية هي قصبة «لريةliria »، والذي يظهر أن هذه القرى قد انحطت عما كانت عليه لعهد الإسلام.

(١) لريةLiria

ينسب إليها من أهل العلم محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ابن أبي إسحاق الأنصاري، أخذ القراءات عن أبيه وغيره، وأجاز له أبو طاهر السلفي في الإسكندرية، ولما عاد من الشرق تصدر للإقراء ببلده لرية، قال ابن الأبار في التكملة: وهو من بيت نباهة وديانة وعلم وزهادة، كان هو وأبوه وجده من

جلة المقرئين. وكذلك كان ابنه أبو زكريا يحيى بن محمد، توفي سنة ٥٩٧ أو نحوها.

وأبو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد ابن أبي إسحاق الأنصاري، روى عن أخيه أبي عبد الله المقرئ، وأبي بكر بن العربي، وأبي الوليد بن الدبَّاغ، سمع منه أبو عمر بن عيَّاد مسلسلات ابن العربي، وقال: كان له اعتناء بالحديث، توفي مبطونا سنة ٥٥٠، ومولده سنة ٤٧٦.

وأبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن أبي إسحاق الأنصاري، روى عن أبيه وعمه محمد بن يحيى، وسمع من ابن هذيل، وسمع صحيح البخاري من ابن الدبَّاغ، وأخذ النحو عن أبي بكر عتيق بن الخصيم، وأقرأ العربية بلرية، وخطب بجامعها، قال ابن الأبار نقلا عن أبي عبد الله بن عيَّاد: إنه توفي في ذي الحجة سنة ٥٦٣، وكانت ولادته سنة ٥٠٧.

وأبو بكر يحيى بن محمد بن يحيى بن أبي إسحاق الأنصاري، أخذ عن أبيه القراءات، وأخذ عن أبي الحسن بن هذيل، وأجاز له أبو عبد الله الداني، وأجاز له السلفي، وخلف أباه في الإقراء، وأخذ عنه الكثيرون، ومنهم أبو عبد الله بن غَبرَة، أخذ عنه سنة ٥٨٧.

وأبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن إسحاق الأنصاري، أخذ عن أبي عبد الله بن نوح، وكان من الفقهاء مع الصلاح الكامل، وأخذ عنه كما أخذ عن أبيه وجده وجد أبيه وأقاربه، وتوفي سنة ٦٣٣. فهؤلاء كلهم فروع شجرة واحدة اشتهرت بالعلم والفضل.

وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن أبي زيد، يعرف بابن عيَّاد، سمع من أبيه أبي عمر، وأبي الحسن بن هذيل، وأبي بكر

بن نمارة، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي الحسن بن النعمة وغيرهم، وأجاز له ولأبيه أبو مروان بن قزمان، وأبو القاسم بن بشكوال، وأبو بكر بن خير وغيرهم، وكتب إليهما أبو طاهر السلفي من الإسكندرية، وكان أبو عبد الله محمد من أهل العناية بالرواية والتقييد للآثار والأخبار، والحفظ للتاريخ، قال ابن الأبار: وله في مشيخة أبيه مجموع مفيد على حروف المعجم، كتبت منه ومن سائر ما وقع إليَّ بخطه في هذا الكتاب ما نَسبته إليه، ولم يخلُ من أغلاط نبَّهت عليها، وكان يضرب في الآداب والعربية بسهم، وربما قرض أبياتا من الشعر. وحدث عنه ابن سالم قال لي: توفي ببلده لرية سنة ٦٠٣، ومولده وقت الزوال من يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان سنة ٥٤٤، قرأت ذلك بخط أبيه أبي عمر.

وأما أبو عمر بن عيَّاد - والد المترجم - فهو يوسف بن عبد الله بن أبي زيد، من لرية، دخل بلنسية سنة ٥٢٨، ولقي بها ابن هذيل، وابن النعمة، وابن الدبَّاغ، وطارق بن يعيش، وخلقا، وكان معنيًّا بصناعة الحديث جماعة للدفاتر، معدودا في الأثبات المكثرين، سمع العالي والنازل، ولقي الكبير والصغير، يحفظ أخبار المشايخ، ويدون قصصهم ووفياتهم، أنفق عمره في ذلك، وكان قد شرع في تذييل كتاب ابن بشكوال، وله كتاب « الكفاية في مراتب الرواية»، و«المرتضى في شرح المنتقى»، و«المنهج الرائق في الوثائق»، و«بهجة الحقائق في الزهد والرقائق»، و«طبقات الفقهاء من عصر ابن عبد البر».

حدث عنه ابنه أبو عبد الله محمد، وأبو محمد بن غلبون، ووصفه بعضهم بالمشاركة في الآداب والفهم بالقراءات، وأنه من أهل التواضع، وقال ابن الأبار: توفي شهيدا ببلده لرية عندما كسبه العدو فقاتل حتى أُثْخن جراحا، ثم أجهزوا عليه، وذلك يوم العيد سنة ٥٧٥، وقد كمل سبعين سنة.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يوسف بن فِرين، من أهل لرية، وصاحب الأحكام بها، سمع من أبي الحسن بن هذيل، وابن النعمة، وابن سعادة وغيرهم، وأجاز له أبو طاهر السلفي سنة ٥٧٥، وأبو محمد المبارك بن الطبَّاخ، قال ابن الأبار: وكان شيخا فاضلا، توفي سنة ٦١٠.

وأبو عبد الله محمد بن خلف بن يونس سمع قديما بشاطبة من أبي عمران بن أبي تليد، وأخذ علم الشروط عن أبي الأصبغ المنزلي، والأدب عن أبي الحسن بن زاهر، وولي الصلاة والخطبة بجامع لرية، وكان معدلا خيارا، خرج من وطنه في الفتنة، فتوفي بشاطبة في رجب سنة ٥٥٧، نقل ذلك ابن الأبار عن ابن عياد.

وأبو بكر محمد بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الأنصاري، أصله من لرية، وسكن المرية، وكان يعرف بالغفايري وبابن العسال، أخذ عن أبي القاسم بن ورد، وعن أبي محمد الرشاطي، ولما تغلب العدو على المرية المرة الأولى – وهي الواقعة التي استشهد فيها الرشاطي – خرج المترجم من المرية، وسكن في لرية بلده الأصلي، فكتب عنه ابن عياد من شعر ابن ورد.

وأبو عبد الله محمد بن مروان بن يونس، يعرف بابن الأديب من لرية، سكن بلنسية، سمع من أبي بكر بن العربي، وطارق بن يعيش، وغيرهما، وكان حسن الوراقة معروفا بذلك، ولاه القاضي مروان بن عبد العزيز خطة السوق، أخذ عنه ابن عياد، وقد تقدمت ترجمته في أدباء بلنسية.

(٢) ركانةRequena

قد تقدم ذكر هذه القصبة، ولا تزال عامرة إلى الآن، وقد قال عنها ياقوت في معجم البلدان: إنها مدينة لطيفة من عمل بلنسية، ونقل عن ابن سقاء أنه

أنشده أبو محمد عبد الله بن محمد بن معدان الركاني اليحصبي من شعره، وأنه كان من أهل الأدب، وحج مرات هو وأخوه علي الركاني، ولقيه السلفي في الإسكندرية. ا.هـ.

وقد ترجم ابن الأبار في التكملة في الجزء الثاني رجلا اسمه أبو بكر عبد الرحمن بن سعدون المكتب، قال إنه يُعرف بالركاني، له رحلة سمع فيها من أبي محمد بن الوليد، وأبي إسحاق الشيرازي، وكان رجلا صالحا، حدث عنه القاضي أبو عامر بن إسماعيل الطليطلي.

وقد ضبط ياقوت الحموي رُكانة بضم الراء وبدون تشديد الكاف، ولكن ضبطه لهذا الاسم لم يكن بالحروف حتى لا يقع لبس وإنما كان بالحركات. أما ابن الأبار فلم نطلع له إلى الآن على ضبط بالحروف لهذا الاسم. وأما في طبعة مجريط من التكملة فهو يضبطها بتشديد الكاف وفتح الراء، ولا نعلم هل كانوا يلفظونها بالتشديد أم لا، وأما الإسبانيون فيكتبونهاRequena ؛ أي دون تشديد وبضم أولها.

(٣) قلييرةCullera

قصبة سكانها في هذا الوقت ١٢٠٠٠ نسمة على ضفة نهر شقرJucar ، وهي لطيفة الموقع فيها آثار حصن قديم، ومنها إلى قصبة طبرنة عشرة كيلومترات. ذكر ابن الأبّار في التكملة محمد بن عبيد الله بن بيبش المخزومي من بلنسية، قال: إن أصله من قلييرة بناحياتها الغربية، يكنى أبا بكر، عني بالفقه، وكان من أهل الفتيا والشورى، ورحل حاجا، وسمع بالإسكندرية من أبي الطاهر السلفي سنة ٥٣٩. وقال الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق: ومن بلنسية إلى حصن قلييرة ٢٥ ميلا، وحصن قلييرة قد أحدق البحر به، وهو

حصن منيع على موقع نهر شقر. وفي دليل بديكر يذكر أن قلييرة على الضفة اليسرى من نهر شقر، وأن بها آثار حصن قديم.

(٤) أندة

وهي من أعمال بلنسية؛ قال ياقوت الحموي في المعجم: أُندة بالضم ثم السكون مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس، كثيرة المياه والرساتيق والشجر، وعلى الخصوص التين فإنه يكثر بها، وقد نسب إليها كثير من أهل العلم، منهم أبو عمر يوسف بن خيرون القضاعي الأُندي، سمع من أبي عمر يوسف بن عبد البر، وحدث عنه الموطأ، ودخل بغداد سنة ٥٠٤، وسمع من أبي القاسم بن بيان، وأبي الغنائم بن النرسي، ومن أبي محمد القاسم بن علي الحريري مقاماته، وعاد إلى المغرب، فهو أول من دخلها بالمقامات، قاله ابن الدبَيْثِي. وينسب إليها أيضا أبو الحجاج يوسف بن علي بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد القضاعي الأُندي، مات في سنة ٥٤٢، قاله أبو الحسن بن المفضل المقدسي.

وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندي المعروف بابن الدبَّاغ، حدث عن أبي عمران ابن أبي تُليد وغيره، وله كتاب لطيف في مشتبه الأسماء ومشتبه النسبة، سمع منه الحافظ أبو عبد الله محمد الأُشبيري. وورد في نفح الطيب: ومن عمل بلنسية مدينة أُندة التي في جبلها معدن الحديد [1]. قلنا:

---

(١)نظن أن الإسبانيين يقولون لأُندة: غاندةGandia ، فهي بلدة في وسط غوطة بلنسية على ٣٦ كيلومترا من بلنسية، وسكانها اليوم عشرة آلاف، ومنها إلى البحر أربعة كيلومترات، وهي على ضفة نهير يقال له: سربيسSerpis ، وفيها باقية أسماء عربية منها شارع يقال له: «أباديا »، ولا نعلم أصل هذه اللفظة؛ لأنها محرفة بلسان الإسبانيول، وفيها شارع آخر صغير ضيِّق يقال له: «شانسور Chanzor »، ونظن هذا الاسم محرفا عن الخنصر ﴿إِن نظن إلا ظنًّا وَما نَحن

وممن انتسب إلى أُندة من أهل العلم أبو عبد الله محمد بن عياض، سمع ببلده من أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر البغدادي، وكانت له رحلة حج فيها، وكان فقيها، كتب عنه أبو عمرو المقري، ولم يذكر تاريخ وفاته.

وأبو عبد الله محمد بن الحسين ابن أبي البقاء بن فاخر بن الحسين الأموي، يقال:

إنهم من ولد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - روى عن أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن شريح، وأبي الوليد بن بقوة، وأبي جعفر محمد بن باق، لقيه بتلمسان، ولقي بها أبا القاسم عبد الرحيم بن جعفر المزياتي، وولي الأحكام هناك، ثم بإشبيلية، ثم ولي الصلاة والخطبة والأحكام في لرية من أعمال بلنسية من قبل القاضي أبي الحسن بن عبد العزيز سنة ٥٣٠، وولي أيضا قضاء شبرانة من الثغر الشرقي، وكان فقيها حافظا واقفا على مسائل المدونة، محسنا لعقد الشروط، ضابطا لما رواه، مقلا صابرا خيرا فاضلا، حدث عنه ابن عيَّاد وقال: توفي بأُندة في رمضان سنة ٥٣٥ وهو ابن سبعين أو نحوها، عن ابن الأبار.

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن بيبش العبدري، من أهل أُندة، سكن بلنسية، له رواية عن أبي عبد الله الخولاني، وعن عبد القادر بن الحنَّاط، وكان فقيها عارفا بالشروط، روى عنه ابنه أبو بكر بيبش بن محمد، قال ابن

بُمستَقِنين﴾، وفيها قصر لآل «بورجيه » صار اليوم مدرسة لليسوعيين، ومن هذه البلدة إلى بلدة اسمها الكوي Alcoy خمسون كيلومترا، والخط الحديدي يصعد مشرفا على واد جميل هو وادي سربيس، ويكون على يمينه الجبل المعروف بشارة بني كادلSierrradel Beni- Cadel ، ولا نعلم إلى الآن أصل هذا الاسم؛ أي بني كادل، إذ لا شك في كونه محرفا عن العربي بلسان الإسبانيول.

الأبَّار: وقرأت بخطه أن أباه توفي ببلنسية عصر الثلاثاء الرابع من صفر سنة ٥٤١.

وأبو الحجاج يوسف بن محمد بن علي بن خليفة القضاعي الأندي، نزل بلنسية، وسمع أبا محمد بن عبيد الله، وأبا الحسن بن النقرات وجماعة، وأخذ العربية عن أبي ذر الخشني، وأبي بكر بن زيدان، وأقرأ العربية حياته كلها، وكان منقبضا مقبلا على شأنه، قال ابن الأبَّار: أخذت عنه جملة من كتب النحو واللغة، وأجاز لي، توفي في حصار بلنسية في ذي القعدة سنة ٥٦٣ عن ثمان وسبعين سنة.

وأبو محمد عبد الله بن محمد العبدري، له رحلة إلى المشرق، دخل فيها بغداد، وسمع بها من الشيوخ، كتب عنه أبو عمرو المقرئ، ترجمه ابن بشكوال في الصلة.

وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيره، يعرف بابن الدبَّاغ، قال ابن بشكوال: صاحبنا من أهل أندة، نزل مرسية، روى عن أبي علي الصدفي ولازمه طويلا، وأخذ عنه جماعة شيوخنا وصحبنا عند بعضهم، وكان من أنبل أصحابنا وأعرفهم بطريقة الحديث، وأسماء الرجال وأزمانهم وثقاتهم وضعفائهم وأعمارهم وآثارهم، ومن أهل العناية الكاملة بتقييد العلم ولقاء الشيوخ، وكتب عنهم وشوور ببلده، ثم خطب به وقتا، وتوفي - رحمه الله - سنة ٥٤٦، وقال لي: مولدي سنة ٤٨١.

وأبو سليمان داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خلف بن عبد الله بن عبد الرءوف بن حوط الله الأنصاري الحارثي من أندة،

سكن مالقة، وولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء بلنسية، وكان محمود السيرة، وتوفي قاضيا بمالقة سنة ٦٢١.

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعي من أهل أندة، وهي دار القضاعيين بالأندلس ومن قرية بجهتها، منها أوليَّة أبي الوليد بن الدبَّاغ، يعرف بابن خيرون، سكن مربيطر، وولي قضاء مربيطر من قبل أبي الحسن بن واجب، وكان سماعه من أبي عمر بن عبد البر، وأبي الوليد الباجي، وأبي المطرف بن جحاف، وأبي العباس العذري، وأبي الوليد الوقشي، وأبي الفتح السمرقندي، وكان راوية فقيها حافظا أديبا، له حظ من الشعر، أخذ عنه جماعة، منهم صهره أبو علي بن بسيل، وأبو محمد بن علقمة، وأبو عبد الله بن يعيش، وأبو العرب التجيبي، وتوفي بمربيطر وهو قاض بها سنة ٥١٠.

وأبو محمد عبد الله بن إدريس بن محمد بن علي بن الحسن القضاعي من أهل أندة، سكن بلنسية، كان يعرف بابن شق الليل، سمع بقرطبة من ابن بشكوال وغيره، كان من أهل الوجاهة، بصيرا بالحساب، ثقة صدوقا، توفي سنة ٦٠٧.

وأبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خلف بن حوط الله الأنصاري الحارثي، ولد بأندة، وقرأ في بلنسية، استأدبَه المنصور بن أبي عامر لبنيه، وتولى الخطة النبيهة مثل قضاء قرطبة وإشبيلية ومرسية وسبتة وسلا، وتوفي سنة ٦١٢.

وأبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي، والد الحافظ ابن الأبار البلنسي القضاعي الشهير صاحب كتاب «التكملة لكتاب الصلة»، والتصانيف الكثيرة، قال عن والده أنه سكن بلنسية،

وأخذ القراءات عن أبي جعفر الحصار، وسمع من أبي عبد الله بن نوح، وأبي بكر بن قنترال، وأبي عبد الله بن نسع، وأبي علي بن زلال، وصحب أبا محمد بن سالم الزاهد المعروف بالسبطير، قال ابن الأبار: كان - رحمه الله - ولا أزكيه، مقبلا على ما يعنيه، شديد الانقباض، بعيدا عن التصنُّع، حريصا على التخلص، مقدما في حَملة القرآن، كثير التلاوة له والتهجد به، صاحب ورد لا يكاد يهمله، ذاكرا للقراءات، مشاركا في حفظ المسائل، آخذا فيما يستحسن من الأدب، معدلا عند الحكام، وكان القاضي أبو الحسن بن واجب يستخلفه على الصلاة بمسجد السيدة من داخل بلنسية، تلوت عليه القرآن بقراءة نافع مرارا، وسمعت منه أخبارا وأشعارا، واستظهرت عليه كثيرا أيام أخذي عن الشيوخ يمتحن بذلك حفظي، حدثني غير مرة أنه ولد بأندة سنة ٥٧١، ثم قال ابن الأبار أن والده توفي ببلنسية وهو غائب بثغر بطليوس، وكانت وفاته عند الظهر من يوم الثلاثاء الخامس لشهر ربيع الأول سنة ٦١٩، ودفن لصلاة العصر من يوم الأربعاء بعده بمقبرة باب بيطالة وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وكانت جنازته مشهودة والثناء عليه جميلا، نفعه الله بذلك.

وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن نميل من أهل أندة، سكن بلنسية، كان مقرئا، وكان يحترف مع ذلك بالوراقة، توفي بعد الثمانين وخمسمائة.

وأبو الحجاج يوسف بن علي بن محمد القضاعي من أهل أندة، نزل المرية، يعرف بالقفال وبالحداد، حج وذهب إلى بغداد بعد الخمسمائة، وسمع من أبي طالب الحسين الزينبي أخي طراد ومن غيره، وقرأ على نفس الحريري مقاماته، وقفل إلى الأندلس سنة ٥١٢، ونزل المرية، ثم رحل، ثم رجع إلى الأندلس سنة ٥١٦، وحدث عنه جماعة، وكان صدوقا صحيح السماع، استشهد في تغلب

الروم على المرية أول مرة، وكان ذلك يوم الجمعة عشرين من جمادى الأولى سنة ٥٤٢، واستشهد يومئذ أبو محمد الرشاطي.

وأبو الأصبغ عبد العزيز بن أحمد بن غالب من أهل أندة، سكن بلنسية، كان مقدما في علم القراءات، صواما قواما، صرورة ما تزوج قط، توفي في بلنسية سنة ٥٧٣.

وأبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الأندي، نزيل بلنسية، كان من أهل الفضل، وكان محترفا بالتجارة، عدلا، وعمّر حتى ألحق الصغار بالكبار؛ لأنه ولد سنة ٥٣٧ وتوفي سنة ٦٢٢.

وأبو عبد الله محمد بن باسه بن أحمد بن أرذمان الزهري المقرئ، من أهل أندة، سكن بلنسية، وكان مقرئا فاضلا، توفي بإشبيلية سنة ٥١٥.

وعبد العزيز بن جعفر بن محمد بن إسحاق بن محمد بن خواست الفارسي البغدادي المعمر، سكن بأندة، يكنى أبا القاسم، روى بالمشرق عن أبي بكر محمد بن عبد الرزاق التمار وعن إسماعيل الصفار، وأبي بكر النقاش، وأبي عمر الزاهد غلام ثعلب وغيرهم، روى عنه أبو الوليد بن الفرضي، وذكر أنه لقيه بمدينة التراب (أي بلنسية) في ربيع الأول سنة ٤٠٠، قال ابن بشكوال في الصلة: وفي هذا التاريخ كان ابن الفرضي قاضيا ببلنسية. قال أبو عمرو المقرئ: وتوفي في ربيع الأول سنة ٤١٣ وهو ابن اثنتين وتسعين سنة، دخل الأندلس تاجرًا سنة ٣٥٠، وروى ابن بشكوال عن حكم بن محمد أن المترجم قال له: إنه ولد في رجب سنة ٣٢٠.

وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عيسى بن عبد الحميد بن روبيل الأنصاري، أصله من أندة من أعمالها، وأبوه انتقل منها إلى بلنسية، قال ابن

الأبار: سمع معنا من شيوخنا أبي عبد الله بن نوح، وأبي الخطاب بن واجب، وأبي علي بن زلال، وأبي سليمان بن حوط الله، وأبي الربيع بن سالم، وأبي الحسن بن خيرة، وأبي محمد عبد الحق الزهري، وانفرد بالرواية عن جماعة استجاز لي بعضهم، وكتب إليه وإليَّ جماعة من أهل المشرق، وعني بعقد الشروط ودراسة الفقه. وشارك في العربية وولي قضاء مربيطر فحمدت سيرته، ثم ولي بعد ذلك قضاء دانية والخطبة بجامعها مناوبا غيره فيها، وتوفي بها وهو يتقلد ذلك في الثامن أو التاسع والعشرين من المحرم سنة ٦٣٦، ونُعي إلينا ببلنسية في آخر محاصرة الروم إياها لاستيلائهم عليها صلحا في يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر، قال: ومولده سنة ٥٩١.

وأبو محمد عبد الله بن يوسف بن علي بن محمد القضاعي، قال ابن الأبار: من أهل المرية، وأصله من أندة، وبها نزلت قضاعة، سمع من أبيه أبي الحجاج الراوية، ومن أبي جعفر بن غزلون، ورحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية سنة ٥١٣ من أبي عبد الله الرازي والسلفي، وقد أخذ عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسي.

(٥) مليانةMELIANA

إلى الشمال من بلنسية على سبعة كيلومترات منها، ولم نعثر حتى الآن على ذكرها في كتب العرب، وكذلك قرية أخرى على أربعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من بلنسية اسمها «بورجاسوطBurjasot »، وقرية اسمها «قرطوجة Cartoja»، وبلدة على ٣٤ كيلومترا من بلنسية سكانها خمسة آلاف، فيها حصن قديم يقال لها: «شيبهChiva »، ولكن على بعد ٤٢ كيلومترا من بلنسية قرية اسمها «البُنيول» على ضفة نهير يقال له أيضا:

البُنيول، وفيها حصن قديم، فهذه القرية؛ أي البنيول، وارد لها ذكر في كتب العرب، ومنسوب إليها أناس من أهل العلم.

ومن قرى بلنسية قرية أسيلة، وسكانها اليوم خمسة آلاف، وفيها نخل كثير، وتكتب بالإسبانيولي «سيلةSilla »، وقد بحثنا عن موقع هذه البلدة واسمها، فأما موقعها فعلى الشمال من بحيرة بلنسية، ومنها طريق حديدي إلى قلييرة، وعلى مقربة منها قرية اسمها «سولانَةSollana »، ثم قصبة يقال لها: «سويقة Snece» سكانها اليوم ١٢ ألف نسمة، فأسيلة هذه ربما ذكرها في معجم البلدان لكن بلا تأنيث، وذلك أنه قال:

أصيل - بياء ساكنة ولام - بلد بالأندلس. قال سعد الخير: ربما كان من أعمال طليطلة، ينسب إليه أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، محدث متقن فاضل معتبر، تفقه بالأندلس، فانتهت إليه الرئاسة، وصنَّف كتاب الآثار والدلائل في الخلاف، ثم مات بالأندلس في نحو سنة ٣٩٠. ا.هـ.

ولا نعلم هل «أصيل» التي ذكرها ياقوت في المعجم هي أسيلة المؤنثة التي قد ورد ذكرها في التكملة لابن الأبار في الجزء الأول أم غيرها، فإنه ترجم رجلا يقال له: محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأموي من أهل بلنسية، قال ابن الأبار وصاحب البيت أدرى: إن أصله من قرية بقرب بلنسية تعرف بأسيلة، وقال في ترجمته أنه أخذ القراءات عن أبي الحسن بن هذيل، وأنه رحل إلى غرناطة وإلى إشبيلية وسمع من شيوخها، وأنه قصد جيَّان للقاء الأستاذ أبي بكر بن مسعود، فاختلف إليه ثلاثين شهرا يأخذ عنه العربية، وسمع هناك أبا الأصبغ الرعيني، وأبا القاسم بن الأبرش، ودخل المرية سنة ٥٣٩، فسمع فيها من أبي محمد بن عطية، وأبي الحجاج القضاعي، وأجاز له أبو الحسن بن مغيث، وأبو مروان الباجي، وأبو بكر بن العربي، وجماعة كثيرة

من المشاهير، وقفل إلى بلنسية بعلمٍ جمٍّ ورواية عالية، وأقرأ العربية، وتولى قضاء بلنسية سنة ٥٨١، وأقام في القضاء حميد السيرة، وكان عدلا في أحكامه، جزلا في رأيه، صليبا في الحق، إماما يعتمد عليه في العربية والقراءة، مع الحظ الوافر من البلاغة، وأوطن مرسية بأخرة من عمره، وناوب في الصلاة بها والخطبة أبا القاسم بن حبيش، وتوفي بها عشية السبت من جمادى الأولى سنة ٥٨٦، ودفن بظاهرها عند مسجد الجرف خارج باب ابن أحمد إلى جانب صاحبه أبي القاسم بن حبيش، وكان مولده ببلنسية سنة ٥١٣.

وأما البنيول فقد ورد ذكرها أيضا في تكملة ابن الأبار في الجزء الأول، فإنه ترجم محمد بن خلف بن عبيد الله المعافري من أهل جزيرة ميورقة قال: إن أصله من نواحي بلنسية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالبنيولي، وترجم رجلا آخر من أهل ميورقة، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الجليل العبدري، يعرف بالبُنيولي. قال ابن الأبار: وبنيول من أعمال بلنسية، وضبطها بضم أولها (كما هو بالإسبانيوليBunol).

وقد تقدم ذكر رصافة بلنسية، ولم يذكرها ياقوت في معجمه، وإنما ذكر رصافة قرطبة، وذكر بعض العلماء المنسوبين إلى هذه الرصافة مما سنذكره إن شاء الله عند الوصول إلى رصافة قرطبة، بل روى شعرا لأبي عبد الله الرفاء الرصافي الشاعر، نقل أنه من رصافة قرطبة.

ولكن صاحب نفح الطيب ذكر أن في بلنسية رصافة أيضا، ونقل عن ابن سعيد أن برصافة بلنسية مناظر وبساتين، وأنه لا يُعلم في الأندلس ما يسمى بهذا الاسم غير رصافة بلنسية ورصافة قرطبة. ثم إن ابن الأبَّار وهو من بلنسية - وصاحب البيت أدرى كما سبق القول - ترجم أبا عبد الله محمد بن غالب الرفاء الرصافي، ونسبه إلى رصافة بلنسية، وقال عنه أنه كان شاعر وقته مع

العفاف والانقباض وعلو الهمة، وأنه كان يعيش من صناعة الرفو يعالجها بيده، ولم يبتذل نفسه في خدمة ولا تصدى لانتجاع بقافية، حملت عنه في ذلك أخبار عجيبة، وقد تقدم ذكره في تراجم علماء بلنسية؛ فلا حاجة إلى إعادة ذلك.

ومن أعمال بلنسية قرية المنصف التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي، وقبره كان بسبتة – رحمه الله تعالى – ومن نظمه:

قالت لي النفس أتاك الردى وأنت في بحر الخطايا مقيم
فما ادخرت الزاد قلت اقصري هل يحمل الزاد لدار الكريم

ذكر ذلك المقري في نفح الطيب. ثم إننا قرأنا في التكملة لابن الأبَّار ترجمة أبي محمد طارق بن موسى بن يعيش المخزومي المنصفي المتوفى بمكة، سنة ٥٤٩، وقد نقلنا ترجمته بين تراجم علماء بلنسية، وهو في الحقيقة من المنصف قرية من قرى بلنسية.

(٦) طبرنةTABERNAS

ومن أعمال بلنسية طَبْرَنَة، وهي على عشرين كيلومترا من بلنسية، وهي في وسط جنان بلنسية الشهيرة. وفي هذه القرية كانت الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين، وهي التي يقول فيها أبو إسحاق بن يعلى الطرسوني:

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أحسنكم وأقبحهم بها لو لم يكن بطبرنة ما كانا

وقد ذكر هذه القرية صاحب النفح واستشهد بهذين البيتين.

(٧) جزيرة شقر

ومن أعمال بلنسية جزيرة شقر [١]، والإسبانيون يقولون لهذه القصبة جوكارJucar ، وكان الرومانيون يقولون لها سوكروSucro ، وفيها آثار حصن قديم، وموقعها من أبدع المواقع، ولها نهر يجري بجانبها وزراعاتها كثيرة، وفيها البرتقال والنخيل، ويزرعون في جوانبها الأرز، وجزيرة شقر يدور ذكرها كثيرا

(١)قال الحميري في الروض المعطار: شقر جزيرة بالأندلس، قريبة من شاطبة، وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا، وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار، وبها أناس جلة، وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادي، والمدخل إليها في الشتاء على المراكب وفي الصيف على مخاضة. وفي إحاطة الوادي بها يقول ابن خفاجة في شعر يتشوق فيه إلى معاهده ويندب ماضي زمانه:

بين شقر وملتقى نهريها ... حيث ألقت بنا الأماني عصاها
ويغني المكاء في شاطئيها ... يستخف النهى فحلت حباها
عيشة أقبلت يشهَّى جناها ... وارف ظلها لذيذ كراها
لعبت بالعقول إلا قليلا ... بين تأويبها وبين سراها
فانثنينا مع الغصون غصونا ... مرحا في بطاحها ورباها
ثم ولت كأنها لم تكن تلـ ... ـبث إلا عشية أو ضحاها
آه من غربة ترقرق بثا ... آه من رحلة تطول نواها
آه من فرقة لغير تلاق ... آه من دار لا يجيب صداها
فتعالي يا عين نبكي عليها ... من حياة إن كان يغني بكاها
وشباب قد فات إلا تناسيـ ... ـه ونفس لم يبق إلا شجاها
ما لعيني تبكي عليها وقلبي ... يتمنى سواده لو فداها

وفي جزيرة شقر يقول الكاتب أبو المطرف بن عميرة:

فقد حازنا نأي عن الأهل بعدما ... نأينا عن الأوطان فهي بلاقع
نرى غربة حتى تنزل غربة ... لقد صنع البين الذي هو صانع
وكيف بشقر أو بزرقة مائه ... وفيه لشقر أو لزرق شوارع

.

في كتب الأندلس، وقد جاءت في معجم البلدان، قال ياقوت: جزيرة شقر - بفتح أوله وسكون ثانيه - في شرقي الأندلس، وهي أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجرا وماء. وكان الأديب أبو عبد الله محمد بن عائشة الأندلسي كثيرا ما يقوم بها، وله في ذكرها شعر منه:

ألا خلِّياني والصبا والقوافيا ... أرددها شجوي فأجهش باكيا

ومنها:

وهيهات حال تدون شقر وعهدها ... ليال وأيام تحال لياليا
فقل في كبير عاده عائد الصبا ... فأصبح مهتاجا وقد كان ساليا
فيا راكبا مستعمل الخطو قاصدا ... ألا عُج بشقر رائحا ومغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب أرقما ... وهب نسيم الأيك ينفث راقيا
وقل لأثيلات هناك وأجرع ... سقيت أثيلات وحييت واديا

وقيل لها جزيرة شقر لأنها بموقعها على نهر شقر أشبه بجزيرة، والإسبانيون يقولون لها: «السيرةAlcira »، وهي تحريف جزيرة، وليس ذلك بغريب، فعندنا جزر صغيرة مركبة من الأنهر تقول العامة للواحدة منها: «زيرة»، بحذف الجيم، وهكذا حصل في الأندلس. وجزيرة شقر اليوم مدينة سكانها يزيدون على عشرين ألفا، وربما كانت في زمان العرب أعمر منها اليوم.

من ينسب من العلماء والأدباء إلى شقر

وأما من ينسب من العلماء والأدباء إلى جزيرة شقر فعدد كبير، منهم أبو عبد الله بن مسلم بن فتحون المخزومي، كان فقيها مشاورا.

ومنهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن حاضر الجزيري الخزرجي، قدم مصر وسكن قوص، وكان فصيحا عالما، وكان من عدول بلنسية، ومات بالقاهرة سنة ٦٣٩، ترجمه صاحب نفح الطيب.

ومنهم أبو الحجاج يوسف بن أحمد بن طحلوس، صحب أبا الوليد بن رشد وأخذ عنه علمه، وسمع من أبي عبد الله بن حميد، وأبي القاسم بن وضاح، وكان من العلماء والأطباء، وهو آخر الأطباء بشرق الأندلس مع الديانة ولين الجانب والتحقق بعلوم الأوائل ومعرفة النحو، توفي سنة ٦٢٠، ذكره ابن الأبار.

وأبو محمد بن أحمد بن الحاج الهواري، يعرف بابن حفاظ، روى عن أبي وليد الباجي، وتفقه به، وكان من أصحاب أبي الحسن طاهر بن مفوز، وكان ورعا فاضلا، ذكره ابن الأبار في التكملة.

وأبو محمد عبد الله بن عمر السَلمي، وهو والد القاضي أبي حفص بن عمر، روى عن صهره أبي محمد اللخمي سبط أبي عمر بن عبد البر، وسكن معه أغمات بالمغرب الأقصى حين ولي قضاءها، وبها ولد له ابنه أبو حفص، ولما ولي القضاء قال له صهره أبو محمد اللخمي: إنك قد ابتُليت بالقضاء وهو أمر عظيم؛ فأوصيك بما يهونه عليك وينفعك الله به: لا تبيتن وفي قلبك غش أو عداوة لأحد من خلق الله. قال أبو حفص: فكذلك كان – رحمه الله.

وأبو محمد عبد الله بن باديس بن عبد الله بن باديس اليحصبي، من أهل جزيرة شقر، سكن بلنسية، قال ابن الأبار: سمع شيخنا عبد الله بن نوح وتفقه به، ثم رحل إلى إشبيلية، وأخذ عن مشيختها، وأجاز البحر إلى فاس، فلقي هناك أبا الحجاج بن نوى وطبقته من أهل علم الكلام وأصول الفقه، فأخذ

عنهم، وأجاز له جماعة منهم، وعاد إلى بلنسية فاجتُمع إليه بالمسجد الجامع منها، ونوظر عليه في المستصفى لأبي حامد وغير ذلك، وقد حضرت تدريسه وصحبته وقتا، وكان شكس الخلق مع الانقباض والتصاون، وتنسك بآخرة من عمره، وأجهد نفسه قياما وصياما إلى أن توفي في شعبان سنة ٦٢٢، وكانت جنازته مشهودة. انتهى ما قاله ابن الأبار.

وأبو مروان عبيد الله بن أحمد بن ميمون المخزومي، ولي قضاء بلده جزيرة شقر، وكانت له رواية عن أبي عمر بن عبد البر، سمع منه سنة ٤٤٥.

وأبو مروان عبد الله بن ميمون الأنصاري يعرف بابن الأديب. كان من أهل المعرفة بالقراءات، موصوفا بالفطنة والحزامة، ولي قضاء بلده، وتوفي سنة ٥٥٦.

وابن سعدون أبو الحسن علي بن حسين النجار الزاهد، تقدمت ترجمته في تراجم علماء بلنسية.

وأبو يوسف يعقوب بن محمد بن خلف بن يونس بن طلحة الشقري، سكن شاطبة، وقرأ الموطأ على أبي بكر عتيق بن أسد، وصحب أبا إسحاق بن خفاجة، وحمل عنه شعره، وكان فقيها مشاورا أديبا بارعا، روى عنه طلحة بن يعقوب، وأبو القاسم بن بقي، وأبو القاسم البراق، وتوفي سنة ٥٨٤ عن ثمان وسبعين سنة.

وأبو الحسن طاهر بن خلف بن خيرة، روى عن أبي الوليد الباجي، وقرأ على أبي علي بن سكرة الصدفي بدانية، وسمع أبا داود المقرئ سنة ٤٩١.

وأبو عبد الله محمد بن منخل بن ريان، كان من أهل العلم بالقراءات والنحو، متحققا بالفرائض والحساب، بصيرا بالمساحة، توفي ببلده جزيرة شقر سنة ٥٥١.

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى بن خشين، لم يكن في زمانه من يكتب المصاحف مثله ولا من يدانيه في المعرفة بنقطها مع حسن الخط، توفي في حدود الثلاثين وستمائة.

وأبو عبد الرحمن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي، رحل حاجا، فلقي في طريقه أبا محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي نزيل بجاية، وسمع منه بعض تآليفه، قال ابن الأبار: ولم يكن يبصر الحديث، وكان له حظ منزور من منظوم ومنثور، توفي سنة ٦٣٢.

وأبو بكر محمد بن محمد بن وضاح اللخمي، من أهل جزيرة شقر، وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها، رحل حاجا فأدى الفريضة سنة ٥٨٠، ولقي بالقاهرة أبا محمد قاسم بن فيرُّه الضرير الشاطبي، فسمع منه قصيدته الطويلة في الإقراء المعروفة «بحرز الأماني ووجه التهاني»، وتصدر ببلده للإقراء، وكان رجلا صالحا، توفي سنة ٦٣٤. وأبو عبد الله محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر، يعرف بمرج الكحل، وكان شاعرا مفلقا، توفي ببلده سنة ٦٣٤.

وأبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي، زاهد ورع فاضل، أديب من أهل بيت جلالة ورئاسة، كان ملجأ للفقراء والمساكين. قال ابن عميرة في بغية الملتمس: أخبرني ابنه الفقيه أنه وقع له تسمية الأملاك التي باعها أبوه في الفقراء والمساكين، فوجدت أربعة وعشرين ألف دينار سوى ما أغفل

منها. وقيل إنه رحل إلى قرطبة واستفتَى جميع من بها هل يخرج من جميع ماله وينقطع إلى الله - عز وجل - أم يبقى فيه وكيلا للفقراء والمساكين. توفي في حدود سنة ٥٨٠.

وأبو جعفر أحمد بن محمد بن طلحة من بيت مشهور بجزيرة شقر، كتب عن بني عبد المؤمن، ثم استكتبه ابن هود، وربما استوزره، وكان شاعرا من فحول الشعراء، قتله أبو العباس السبتي، وكان بلغه أنه هجاه.

وأبو عبد الله محمد بن مسلم بن فتحون المخزومي، كان فقيها مشاورا، ولابنه إبراهيم رواية، ذكره ابن الأبار في التكملة.

وأبو عبد الله محمد بن ربيعة من أهل جزيرة شقر، سكن بلنسية، وكان مفتي أهل بلنسية في زمانه، مقدما في الشورى، حافظا للفقه، توفي يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٤٨٧، ذكره ابن بشكوال في الصلة.

ومحمد بن وضاح أبو القاسم الحاج، خطيب جزيرة شقر، كان فاضلا ورعا، مقرئا حسن التلاوة، أخذ القراءات السبع على ابن العرجا، إمام المقام بمكة المكرمة. قال ابن عميرة في بغية الملتمس: أول ما لقيته بمرسية في مجلس القاضي أبي القاسم بن حبيش، فلما خرج من عنده قال لي: هذا رجل لم يكذب قط. فأحببته وصحبته إلى أن مات سنة ٥٨٧.

(٨) بني فيُّو Benifayo

وغير بعيد من جزيرة شقر قرية يقال لها الآن «بني فيُّو»، يظن المستشرق ليفي بروفنسال أنها محرفة عن بني فيُّوم، ونحن لا نظن ذلك، بل نرجح تحريفها عن بني حيُّون؛ وذلك أن من عادة الإسبانيول قلب الحاء فاء؛ لأنهم لا يقدرون على لفظ الحاء كما لا يخفى، فكثيرا ما يجعلونها فاء مثل ما قالوا «البُفيرة» في

لفظهم للبحيرة، ثم ليس من عادة العرب أن يضيفوا لفظة بنو أو بني إلى بلدة، وإنما يضيفونها إلى قبيلة، ولم نسمع باسم قبيلة يقال لها فيُّوم، وإنما هي بلدة في مصر. فأما حيون فهو اسم معروف عند العرب للرجال وشاع في الأندلس، فالأرجح أن هذه البلدة اسمها بني حيُّون، ثم بالترخيم صارت بني حيُّو.

وفي تلك الناحية بلدة سكانها بضعة عشر ألفا يقال لها «قرقاجنت Carcagente» ذات برتقال ونخيل، وفيها أيضا شجر التوت، ومن هذه البلدة فرع للخط الحديدي يذهب إلى دانية، وهناك بلدة أخرى على الضفة الغربية من نهر شقر يقال لها «البريك Alberique»، وبالقرب منها نهير يقال له «البيضا Abaida»، وبالقرب من هذا النهير حصن «شنتيانةSentana »، وقد مرَّ بنا ذكر علماء يقال في نسبتهم الشنتياني، نظنهم منسوبين إلى هذا المكان، وجميع هذه البلاد التي ذكرناها واقعة بين بلنسية وشاطبة.

ومن مضافات بلنسية قصبة «أوليبةOliva »، فيها كثير من التوت والزيتون والبرتقال، وفيها أفخر أجناس العنب، وهي بين جبال: أحدها يقال له «جبل سيقاريا»، والآخر «جبل نيغرو»، وجبل «مونكو»، وهناك قرية يقال لها أنداره، معروفة من أيام العرب، ينتسب إليها أناس من أهل العلم، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المعافري الأنداري.

ومن أعمال بلنسية المشهورة في زمان العرب:

(٩) شارقةGerica

وكان العرب الأندلسيون يلفظونها بالإمالة كما هو شأنهم، وهي بلدة واقعة في آخر حدود ولاية بلنسية إلى الشمال بينها وبين ولاية سرقسطة، وهي مشرفة على نهر بلنسية، وفيها حصن عربي عظيم استولى عليه جاك الأول - ملك

أراغون – سنة ١٢٣٥، وله برج عال ارتفاعه ثلاثون مترا. ومن شارقة [١] إلى الغرب وادٍ خصيب، وهناك بلدة إشكرب التي مرَّ ذكرها. وكان يقال لشارقة «قلعة الأشراف»، وقد ورد ذكر شارقة في معجم البلدان قال: حصن بالأندلس من أعمال بلنسية في شرقي الأندلس، ينسب إليها رجل من أهل القرآن يقال له الشارقي، اسمه أبو محمد عبد الله بن موسى، روى عن أبي الوليد يونس بن مغيث بن الصفا عن أبي عيسى عن عبد الله بن يحيى بن يحيى. انتهى.

وينسب إلى شارقة أبو المطرف عبد الرحمن بن العاصي الأنصاري الخزرجي من ولد سعد بن عبادة، روى عن أبي الوليد الباجي، سمع منه بسرقسطة صحيح البخاري سنة ٤٦٣، كان فقيها جليلا، ولي الأحكام ببلده شارقة ولابنه محمد بن عبد الرحمن رواية أيضا، ذكره ابن الأبَّار.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي العاصي بن يوسف بن فاخر بن عتاهية بن أبي أيوب بن حيُّون بن عبد الواحد بن عفيف بن عبد الله بن رواحة بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، ترجمه ابن الأبَّار وقال: إنه قرأ نسبه بخطه ونقله منه، وهو من أهل شارقة قلعة الأشراف عمل بلنسية،

---

(١)لما زحف جاك الأول – ملك أراغون – على مملكة بلنسية بدأ بشارقة، واستولى على حصنها الذي هو مفتاح بلنسية، وكان استيلاؤه على شارقة مبدأ انهيار ملك العرب في بلنسية وملحقاتها؛ ولذلك قال ابن الأبار القضاعي في قصيدته السينية التي يستصرخ فيها الملك أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصي – صاحب تونس – وذلك قوله:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ... إن الطريق إلى منجاتها درسا

ومنها إشارة إلى شارقة وأخذ العدو لها:

في كل شارقة إلمام بائقة ... يعود مأتمها عند العدى عرسا

وكل غاربة إجحاف نائبة ... تثني الأمان حذارا والسرور أسى

وستأتي هذه القصيدة الطنانة في آخر هذا الجزء.

صحب أبا الوليد الوقشي، وله رواية عن أبي محمد بن السيد، روى عنه ابنه العاصي الحكم بن محمد، وتوفي في نحو العشرين وخمسمائة.

من ينسب إليها من أهل العلم

وممن ينسب إلى شارقة ابن حبيش، وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أبي عيسى الأنصاري، يكنى أبا القاسم، انتقل جده عبد الله من شارقة إلى المرية، فنشأ المترجم في المرية، وتفقه بأبي القاسم بن ورد، وأبي الحسن بن نافع، وأخذ العربية عن أبي عبد الله ابن أبي زيد، ورحل إلى قرطبة سنة ٥٣٠، فسمع بها من بقايا رجالها أبي الحسن بن مغيث، وأبي عبد الله بن مكي، وأبي عبد الله بن أصبغ، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، وسمع من القادمين إليها كالقاضي أبي بكر بن العربي وغيره، وأجاز له أبو الحسن شريح بن محمد، وأبو الوليد بن بقوة، وأبو بكر بن مدير، وأبو الفضل بن عياض، وكتب إليه من الإسكندرية أبو طاهر السلفي، وأقام بقرطبة نحوا من ثلاثة أعوام يسمع الحديث والغريب، ثم انصرف إلى وطنه المرية، فلما تغلب النصارى عليها أول مرة سنة ٥٤٢ خرج منها إلى مرسية فأقام بها قليلا، ثم انتهى إلى جزيرة شقر فأوطنها وولي بها الصلاة والخطبة والأحكام نحوا من اثنتي عشرة سنة.

ثم إنه في سنة ٥٥٦ نُقل من جزيرة شقر إلى مرسية خطيبا بجامعها، فالتزم ذلك مناوبا لأبي عبد الله بن سعادة، وأبي علي بن عريب، وسنة ٥٧٥ تولى قضاء مرسية، وكان محمود السيرة معروف النزاهة لا يُنعى عليه إلا حرج في خلقه، وكان آخر أئمة المحدثين بالمغرب، والمسلم له في حفظ غريب الحديث، ولغات العرب وتواريخها ورجالها وأيامها، لم يكن أحد من أهل زمانه يجاريه في معرفة رجال الحديث وأخبارهم ومواليدهم ووفياتهم.

وكان خطيبا فصيحا حسن الصوت، وله خطب حسان في أنواع شتى، ونقل ابن الأبَّار عن أبي عبد الله بن عيَّاد أنه كان صارما في أحكامه جزلا في أموره، مكرما لأصحابه منوها بهم، وكانت الرحلة إليه في وقته، وطال عمره حتى ساوى الأصاغر الأكابر في الرواية عنه، واقتضب صلة ابن بشكوال وعلق عليها، ولم يؤلف في الحديث على كثرة تقييده غير مجموع في الألقاب صغير، ولكن له كتاب في المغازي في مجلدات، وكانت ولادته في المرية في النصف من رجب سنة ٥٠٤، وكان يكره أن يسأله أحد عن مولده، وكانت وفاته بمرسية على رأس الثمانين من عمره ضحى يوم الخميس الرابع عشر من صفر سنة ٥٨٤، ودفن خارج باب ابن أحمد إزاء مسجد الجرف في موضع مطل هناك كان يرتاح إلى الجلوس فيه، وصلى عليه أبو حفص الرشيد - أمير مرسية - وكانت جنازة لم يشاهد مثلها حتى كاد يهلك فيها ناس من كثرة الزحام. عن ابن الأبَّار.

ومن مشهورات المدن التي كانت في عمل بلنسية مدينة البونت:

(١٠) البونت Funte la Higuero

وهي بلدة عالية بينها وبين بلنسية مائة كيلومتر، وأهلها اليوم لا يزيدون على أربعة آلاف، وهي في الجبل معدودة من الصرود، وبردها شديد في الشتاء، وليس فيها أشجار نظير الجروم والسواحل، بل أكثر غراسها الكرم، وطريق الحديد يصل إليها في نفق تحت الأرض طوله ١٥١٤ مترا، وقد مررت من هناك راجعا من بلنسية إلى مجريط في أثناء رحلتي إلى الأندلس سنة ١٩٣٠، فرأيت أن البونت يصح أن تكون مصطاف بلاد بلنسية التي يشتد فيها الحر في فصل الصيف؛ لأن الجبال العالية في شرقيها وشماليها حاجز بينها وبين الهواء البارد، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان هذه البلدة في مكانين فقال:

«بُنْت» - بالضم ثم السكون وتاء مثناة - بلد بالأندلس من ناحية بلنسية، ينسب إليها أبو عبد الله محمد البنتي البلنسي الشاعر الأديب. ا.هـ. ثم قال في مكان آخر: «البونت» - بالضم والواو والنون ساكنان والتاء فوقها نقطتان - حصن بالأندلس، وربما قالوا: البُنت، وقد ذكر. ينسب إليه أبو طاهر إسماعيل بن عمران بن إسماعيل الفهري البُنتي، قدم الإسكندرية حاجا، ذكره السلفي، وكان أديبا أريبا قارئا. وعبد الله بن فتوح بن موسى بن أبي الفتح بن عبد الله الفهري البُنتي أبو محمد، كان من أهل العلم والمعرفة، وله كتاب في الوثائق والأحكام، وله أيضا رواية، توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٦٢. انتهى [١].

---

(١)قد أورد ليفي بروفنسال في مجموعة الكتابات العربية في إسبانية Inscriptions Arabes ‘D Espagneذكر قبر وجد في مدينة البونت، ظهر من كتابته أنه قبر عز الدولة - أمير البونت - المتوفى سنة ٤٤٠ وفق سنة ١٠٤٨، وقد وجد رخام هذا القبر في دار التحف الأثرية ببلنسية، وكتابته سبعة أسطر بالخط الكوفي، ومن كلماتها ما قد امحى تماما، والذي أمكن قراءته منها هو هذا: بعد البسملة: ﴿يَا أَيها النَّاس إن وعد الله حق فَلا تغرنَّكُم الحياة الدنْيَا وَلا يغرنّكم باللهِ الغرُور﴾ هذا قبر الحاجب عز الدولة أحمد بن محمد بن قاسم بن..

. .يوم .. خلت من رجب سنة..

فهو يشهد أن لا إله إلا الله.

ويقول ليفي بروفنسال: إن أحمد بن قاسم هذا رجل له ذكر في التاريخ، قد خلف أباه محمد يمن الدولة على إمارة البونت، وهذا خلف أباه عبد الله نظام الدولة، وكانت وفاة أحمد بن قاسم سنة ٤٤٠ تاركا إمارته لأخيه عبد الله جناح الدولة الذي تولى البونت إلى سنة ٤٨٥؛ إذ غلبت عليه دولة المرابطين، وأخرجته من تلك الإمارة، وفي هذه الكتابة يثبت أن اسم هذا الأمير كان «عز الدولة » لا «عضد الدولة »، كما ذكر بعض مؤرخي العرب، وقد وجدت مسكوكات باسم هذا الأمير تؤيد أن اسمه عز الدولة كما هو مكتوب على قبره.

وقد أوردنا بين تراجم أعيان البونت ترجمة أبي عبد الله محمد يمن الدولة نقلا عن ابن الأبَّار، فهو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قاسم بن علي بن قاسم بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري، من سلالة يوسف الفهري، أمير الأندلس يوم دخلها عبد الرحمن الداخل الأموي.

وورد أيضا ذكر والد يمن الدولة، وهو نظام الدولة، في ترجمة محمد بن عبد العزيز بن سعيد الفهري، الذي يذكر ابن الأبّار أنه تولى قضاء البونت لنظام الدولة الفهري المذكور.

وذكر ابن عذارى في الجزء الثالث من كتاب «البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب» في صفحة ٢١٥ من الطبعة الجديدة التي وقف عليها ليفي بروفنسال ما يأتي:

وفي سنة ٤٣٤ توفي يمن الدولة صاحب مدينة البونت من كورة شنت برية، وهو محمد بن عبد الله بن قاسم الفهري، ولم تزل بأيدي بني قاسم من أول الفتنة، وأول من ملكها منهم نظام الدولة عبد الله بن قاسم إلى أن هلك سنة ٤٢١، ثم وليها محمد هذا يمن الدولة إلى أن هلك في هذا العام، فلم يزالوا يتعاقبون فيها إلى سنة خمسمائة. ا.هـ.

وقد أورد ليفي بروفنسال في مجموعة الكتابات العربية التي تقدم ذكرها كتابة قبر وجد في قرية بني بني مَقْلة Benimaclet التي تقع على الضفة الشمالية من النهر الأبيض على مقربة من بلنسية، وهذه الكتابة كانت في أحد بيوت بلنسية نمرة ٤ من شارع «كروزCruz »، ونصها:

بسملة: ربنا الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِن وعد الله حق فَلا تغرنَّكُم الحياة الدنْيَا وَلا يغرنَّكم بالله الغُرُور﴾ هذا قبر محمد بن عبد الله بن سيد بونه الأنصاري، كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، توفي – رحمه الله وغفر له – ليلة الخميس مستهل جمادى الأولى من سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة – رحمه الله. ا.هـ.

وقد ذكر ليفي بروفنسال ملاحظة أن هذا الاسم سيد بونه مركب من لفظة «سيد» العربية و(بونه) اللاتينية، وأن هذا لم يكن نادرا في الأندلس، فقد أورد المسيو «ريباره » عدة أسماء إسبانيولية دخلت في اللغة العربية، منها «بيبشVives »، وبشكوالPascual ، و«غرسية Garcia »، و«لب « Lope و«فيرّوهFerro »، وغيرها، ومن جملتها «بونه »، والتسمية بها لا تدل على أن المسمى إسبانيولي الأصل. وقد ذكر ليفي بروفنسال رجلا من أهل قسطنطانية اسمه أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونه الخزاعي، توفي سنة ٦٢٤، نقلا عن ابن الأبار.

ونحن نقول: إنه قد مر بنا هذا الاسم مرارا في أثناء التراجم، وإنه مر بنا أيضا ذكر أبي زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن سيد بونه الخزاعي من قسطنطانية، توفي سنة ٥٧٨؛ فيظهر أنه من العائلة نفسها؛ لقوله أنه خزاعي، ولكن هذا أقدم من الذي أشار إليه ليفي بروفنسال، وهذا الذي أشار إليه ليفي بروفنسال هو جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونه، يكنَّى أبا أحمد

من ينسب إليها من أهل العلم

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن سعيد بن عقال الفهري، وستأتي ترجمة والده أبي عبد الله محمد.

وأبو محمد عبد الله بن فتُّوح بن موسى بن عبد الواحد الفهري البونتي، قال ابن عميرة في بغية الملتمس: له كتاب حسن مفيد جمع فيه الوثائق والمسائل من كتب الفقهاء.

وأبو النصر فتوح بن موسى بن أبي الفتوح بن عبد الواحد الفهري، وهو والد الأول روى بطليطلة عن أبي نصر فتح بن إبراهيم، وأبي إسحاق بن شنظير، وصاحبه أبي جعفر، وأبي بكر محمد بن مروان بن زهر، وغيرهم، قال ابن بشكوال في الصلة: وقد أخذ عنه ابنه عبد الله.

وأبو عبد الله محمد بن سليمان بن مروان بن يحيى القيسي، يعرف بالبونتي، سكن بلنسية، روى عن أبي داود المقرئ، وأبي عبد الله بن فرج، وأبي علي الغساني، وأبي الحسن بن الروش، وأبي علي الصدفي وغيرهم، وكانت له عناية كثيرة بالعلم والرواية وأخبار الشيوخ وأزمانهم ومبلغ أعمارهم، وجمع من ذلك كثيرا. قال ابن بشكوال:

ووصفه أصحابنا بالثقة والدين والفضل، وتوفي بالمرية ليلة الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر من سنة ٥٣٦.

الولي الشهير، ترجمه لسان الدين بن الخطيب، وقال في «الإحاطة» إنه كان أحد الأعلام المنقطعي القرين في طريق الله تعالى، أصله من شرق الأندلس، وقد ترجمناه نقلا عن الإحاطة عند ذكر قسطنطانية.

وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعيد بن عقال الفهري، ولي قضاء بلده للحاجب نظام الدولة أبي محمد عبد الله بن محمد بن قاسم، ثم لولاة لمتونة بعد ذلك، وهو من أهل المعرفة والنباهة، وتوفي قبل العشرين وخمسمائة، ومن أهل العلم ابنه عبد الله، وقد تقدم ذكره.

وأبو بكر محمد بن عبد الله البونتي الأندلسي الأنصاري ترجمه المقري في نفح الطيب في جملة الراحلين إلى المشرق، قال: قدم مصر وأقام بالقرافة مدة، وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا، وتوجه إلى الشام فهلك. قال الرشيد العطار: وكان من فضلاء الأندلسيين ونبهائهم، ساح في الأرض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة، وكان يتكلم بألسنة شتَّى وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قاسم بن علي بن قاسم بن يوسف - أمير الأندلس قبل بني أمية - بن عبد الرحمن الفهري، كان يلقب يمن الدولة، وكان رئيسا بقلعة البونت من أعمال بلنسية؛ مقرِّ آبائه الرؤساء، وله صنع أبو محمد بن حزم رسالته في فضل أهل الأندلس وأطال الثناء عليه وعلى سلفه - رحمهم الله. ا.هـ. من كلام ابن الأبَّار في التكملة. قلت: ومن سلالة هذا البيت بنو الجد الفهريون بفاس اليوم، وهم بيت مجد وعلم وفضل، ترجمهم مولاي سليمان - أحد سلاطين المغرب - في مؤلف خاص، ولا تزال إلى عهدنا هذا تظهر منهم النوابغ، ومنهم في هذا العصر السيد العبقري علال الفاسي - من أقطاب الحركة الوطنية المغربية - الذي نفته السلطة إلى القابون من بلاد خط الاستواء، ومنهم السيد محمد الفاسي - المدرس اليوم برباط الفتح - وهو من جلة أدباء العصر على الإطلاق.

وأبو محمد عبد الله بن الفضل بن عمر بن فتح اللخمي البونتي، سكن دانية، روى عن أبي الوليد الوقشي، وأبي عبد الله بن رولان، وتأدب بهما، وقعد

لإقراء العربية ببلنسية، وكان أديبا جليلا ذا حظ من اللغة والنحو والشعر، بارع الخط، رائق الوراقة، أخذ عنه أبو عبد الله بن سعيد الداني وغيره، وتوفي بميورقة بعد التسعين والأربعمائة.

وأبو محمد عبد الله بن مفرج بن موسى بن أبي الفتح بن عبد الواحد الفهري، وهو ابن أخي فتُّوح بن موسى الفهري الذي تقدمت ترجمته.

(١١) قرى بلنسية

ومن قرى بلنسية قرية يقال لها: «شُبْرُب»، قرأ بجامعها عبد الله بن أحمد بن نام الصدفي كتاب التمهيد لأبي عمر بن عبد البر سنة ٤٨٣.

ومن قرى بلنسية قرية ذكرها ابن الأبار يقال لها: «شون»، لم نعلم حتى الآن كيفية لفظها عند الإسبانيين، وقد ورد في الإحاطة لابن الخطيب أنها قرية من إقليم ألبيرة، فيظهر أنها قرية أخرى بهذا الاسم؛ لأن لسان الدين بن الخطيب كان يعرف جيدا إقليم ألبيرة، وذلك أن إقليم ألبيرة هو إقليم غرناطة، ولسان الدين هو وزير غرناطة وأعلم الناس بأمرها، وكذلك ابن الأبَّار القضاعي صاحب التكملة هو أدرى الناس بأخبار بلنسية وإقليمها. هذا وقد انتسب إلى شون البلنسية أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن غزلون بن مطرف بن طاهر بن هارون بن عبد الرحمن بن هاجر بن الحسين بن حرب ابن أبي شاكر الأنصاري، رحل حاجا سنة ٥٦٣، وأدى الفريضة في السنة التي بعدها، وحج ثلاث حجات متواليات، ولقي في الإسكندرية أبا طاهر السلفي، وتوفي بمربيطر سنة ٥٧٤ ودفن ببلنسية. وأما شون التي من إقليم ألبيرة فينسب إليها أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن أبي القاسم الأزدي، تأتي ترجمته إن شاء الله عند الوصول إلى غرناطة.

ومن قرى بلنسية «شيركة»، ذكره ياقوت في المعجم وقال: إنه حصن بالأندلس من أعمال بلنسية.

ومن أعمال بلنسية «المنارة»، ذكرها ياقوت في معجم البلدان، وجعلها من ثغور سرقسطة، والذي أعلمه أنه يوجد قرية اسمها المنار بقرب «بلغي» من عمل لاردة، وهما اليوم من أعمال كتلونية، ولكن في زمان العرب كانت لاردة ومضافاتها تابعة لسرقسطة.

وأما قول ياقوت إن المنارة بالتأنيث هي من ثغور سرقسطة، فلا يمنع أن تكون من أعمال بلنسية؛ فإن الثغور تكون دائما على الحدود بين مملكتين، وإن كثيرا من هذه الثغور كانت تتبع أحيانا المملكة الواحدة وأحيانا تكون تابعة للمملكة الأخرى. وعلى كل حال فقد ذكر ياقوت من أهل العلم أبا محمد عبد الله بن إبراهيم بن سلامة الأنصاري المناري، ذكره السلفي أنه كان يسمع عليه الحديث سنة ٥٣٠، وأنه كان سمع بالأندلس على أبي الفتح محمد المناري. وذكر ياقوت أيضا رجلا اسمه علي بن محمد المناري، كان من أصحاب أبي عبد الله المغامي.

ومن قرى بلنسية «بتَّة» التي ينسب إليها أحمد بن عبد الولي البتي أبو جعفر، كاتب شاعر لبيب، أحرقه القمبيطور - لعنه الله - حين غلب على بلنسية سنة ٤٨٨، ذكره الرشاطي في كتابه عن بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي.

ومن قرى بلنسية «شريون» - بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء - حصن من حصون بلنسية، نَسب إليها أبو طاهر السلفي المحدث المعمر المشهور

الذي كان بالإسكندرية أبا مروان عبد الملك بن عبد الله الشريوني، تفقه على أبي يوسف الريَّاني على مذهب مالك.

وينسب أيضا إلى شريُّون أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عَدبَّس الأنصاري، روى عن أبي عمر بن عبد البر، وسمع بطليطلة من أبي بكر جماهر بن عبد الرحمن وغيره، وسكن طليطلة مدة حدث عنه أبو عامر بن حبيب الشاطبي، توفي بفاس منتصف شوال سنة ٥٠٥.

ومن البلاد المنسوبة إلى بلنسية «أندارة»، وقد ذكرنا في هذا الكتاب بعض العلماء المنسوبين إليها، وجاء ذكرها في التكملة لابن الأبار على أنها قرية من القرى، ولكن أبا عبد الله محمد بن عبد الله الحميري في كتابه «الروض المعطار» يقول إنها مدينة عظيمة في شرقي الأندلس خربها البربر.

openkan.com